ادعاءات أهل الكتاب والرد عليها– دراسة مقارنة

م.م . وداد سلمان فلاح كاظم الحميري

وزارة التربية - كلية التربية المفتوحة - مركز بابل - قسم التربية الاسلامية

Claims of the People of the Book and Refutations: A Comparative Study

Asst.Lect. Widad Salman Falah Kadhum Al-Humairi

wdadalhmyry79@gmail.com

المستخلص :

لقد تم تسليط الضوء على الأسس المفاهيمية ذات الصلة بأهل الكتاب، من خلال تحديد هويتهم وتحديد مكانتهم في الخطاب الإسلامي، مع توضيح رؤية الإسلام المتوازنة تجاههم، والتي تقوم على مبادئ العدل والإنصاف، مع التنبيه على خطر التحريف وكتمان الحقائق. كما تم تناول مواقف القرآن الكريم تجاه مختلف فئات أهل الكتاب، مع إبراز الفروقات بين الذين يتحلون بالإنصاف وأولئك المعتدين، بالإضافة إلى استعراض أبرز الضوابط الشرعية في التعامل معهم من منظور عقائدي وتشريعي. وتم التطرق إلى الادعاءات التي يقدمها أهل الكتاب بشأن النبوة والقرآن والعقيدة الإسلامية، مثل إنكار رسالة النبي محمد (ﷺ)، والاعتراض على صحة الوحي، والحديث عن تحريف القرآن أو الادعاء بأنه قد جاء كنص ناسخ لكتبهم السابقة. وقد قمنا بتفنيد هذه المزاعم من خلال عرضها وتحليلها ومناقشتها، والرد عليها بطريقة منهجية تعتمد على الآيات القرآنية، والبراهين العقلية، والمعطيات التاريخية، مع إجراء مقارنة بين توحيد الإسلام وما تعرضت له عقائد اليهود والنصارى من تحريف وانحراف، لتسليط الضوء على الفروقات الجوهرية في العقائد، ويهدف هذا البحث إلى توضيح النهج القرآني المتزن في الرد على الشبهات، وتعزيز أسس الحوار الرصين مع الآخر، ضمن إطار من الاحترام دون مجاملة، والبيان دون تعصب.

الكلمات المفتاحية: اهل الكتاب، الخطاب الاسلامية، ادعاءات اهل الكتاب.

Abstract:

This research addresses the issue of the claims raised by the People of the Book a nd the responses Islam has provided to these claims, through a comparative study based on jurisprudential foundations and an objective examination of various con cepts and positions. The study highlights the conceptual foundations related to the People of the Book by identifying their identity and their status in Islamic discour se, clarifying Islam’s balanced perspective towards them, which is based on princi ples of justice and fairness, while warning against the dangers of distortion and co ncealing truths. It also examines the Quranic positions regarding different groups among the People of the Book, highlighting the differences between those who ar e fair and those who are aggressors, in addition to reviewing the main legal regula

tions for dealing with them from a doctrinal and legislative perspective. The study also addresses the claims made by the People of the Book regarding prophethood, the Quran, and Islamic creed, such as the denial of the message of Prophet Muha mmad (peace be upon him) The objection to the authenticity of revelation, the dis cussion about the distortion of the Qur'an, or the claim that it came as an abrogati ng text to their previous scriptures. We have refuted these claims by presenting, a nalyzing, and discussing them, and responding to them in a systematic manner rel ying on Qur'anic verses, rational evidence, and historical data, while conducting a comparison between Islamic monotheism and the distortions and deviations that b efell the beliefs of Jews and Christians, in order to highlight the fundamental diffe rences in doctrines. This research aims to clarify the balanced Qur'anic approach i n responding to doubts, and to strengthen the foundations of sound dialogue with others, within a framework of respect without flattery, and clarification without in tolerance

Keywords: Ahl al-kitab, Islamic Discourse, Claims of Ahl al-kitab**.**

1. المقدمة:

أن مصطلح "أهل الكتاب" في الخطاب الإسلامي يُطلق على أتباع الديانات السماوية الذين أنزل الله عليهم كتبًا إلهية، وعلى رأسهم اليهود والنصارى. وقد أشار القرآن الكريم إلى هذه الفئة في مواضع متعددة، موضحًا تباينهم في العقيدة والسلوك،اذ وصف بعضهم بالإيمان، في حين وُصِفَت الغالبية بالفسق والانحراف عن أوامر الله، كما في قوله تعالى : ﴿ **كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ۗ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم ۚ مِّنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ**﴾ **[آل عمران : 110]**

وقد أبرزت النصوص القرآنية أن أهل الكتاب ليسوا جميعًا على درجة واحدة من الالتزام أو السلوك، بل منهم من يُعرف بالصلاح والتقوى، يحيون لياليهم بذكر الله، ويؤمنون باليوم الآخر، ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر، كما في قوله تعالى : ﴿ ۞ **لَيْسُوا سَوَاءً ۗ... وَأُولَٰئِكَ مِنَ الصَّالِحِينَ**﴾**[آل عمران: 113-114]** .

كما أظهر القرآن تباينهم في المعاملات المالية والأمانات، فهناك من يُؤتمن على أموال عظيمة ويؤدي الأمانة، بينما آخرون يخونون حتى في أبسط المعاملات، ويبررون ذلك بتحريف في المفاهيم الدينية، كما في قوله تعالى : ﴿ ۞ **وَمِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ إِن تَأْمَنْهُ بِقِنطَارٍ** ﴾ **[آل عمران: 75]** . ومن أبرز القضايا المثارة بشأن أهل الكتاب، ما يتعلق بكتبهم المنزلة. فقد أشار القرآن إلى وقوع التحريف والتبديل والنسيان المتعمد لبعض ما نُزّل عليهم، إضافة إلى إخفاء الحقائق وتضليل أتباعهم[1] ، وهو ما جاء في قوله تعالى : ﴿يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ وَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ﴾ **[المائدة: 13]** ، وقوله : ﴿ **يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِّمَّا كُنتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ** ﴾ **[المائدة: 15]** .

وبالرغم من انحراف البعض منهم، إلا أن الخطاب القرآني يدعو إلى الحوار الهادئ والمجادلة بالحسنى مع أهل الكتاب، تذكيرًا لهم بما لديهم من وحي سابق، وبيانًا لما نُسِيَ أو أُخفي عن قصد، كما في قوله تعالى : ﴿وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ...﴾ **[العنكبوت: 46]** .

ويدعو القرآن كذلك إلى الاجتماع على أصل التوحيد، ونبذ الشرك، وعدم اتخاذ البشر أربابًا من دون الله، فقال تعالى: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ...﴾ **[آل عمران: 64]**. كما يؤكد القرآن

1) الطبري، جامع البيان، 7\120 ، ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، 2\105 .

أن دعوة أهل الكتاب إلى الإسلام ينبغي أن ترتكز على كون القرآن مصدقًا لما أنزل إليهم من التوراة والإنجيل، وليس ناقضًا لها أو منكرًا لما فيها من حق، فقال تعالى : ﴿وَآمِنُوا بِمَا أَنْزَلْتُ مُصَدِّقًا لِمَا مَعَكُمْ﴾ [البقرة: 41]، ﴿نَزَّلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ [آل عمران: 3] . وفي الوقت ذاته، يحذر القرآن من فئة من أهل الكتاب تسعى إلى إضلال المسلمين وصدّهم عن دينهم، كما ورد في قوله تعالى : ﴿مَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ...﴾ [البقرة: 105] ، وهو ما يفرض على المسلمين الحذر والوعي في التعامل مع هذه الفئة، مع الحفاظ على منهج الدعوة بالحكمة والموعظة الحسنة. ﴿ وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا أَذًى كَثِيرًا وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾ [آل عمران: 186] [2].

تكتسب هذه الدراسة أهميتها من سعيها إلى كشف جوانب متعددة من المزاعم والادعاءات التي طالت أهل الكتاب، وذلك من منظور إسلامي مقارن. فهي تتناول بالنقد والتحليل النصوص الدينية ذات الصلة، وتستعرض الخلفيات التاريخية والعقائدية التي شكّلت مواقف أهل الكتاب، وتوضح كيف تعامل الإسلام مع هذه القضايا بمنهج متوازن يجمع بين العدل والرحمة. كما تبرز الدراسة الفروق الجوهرية في الرؤية الإسلامية تجاه أهل الكتاب مقارنة بغيرها من المواقف، مما يساهم في تصحيح المفاهيم المغلوطة، ويوضح الأسس الشرعية التي تحكم العلاقة معهم. ومن خلال هذا البحث، يمكن الوصول إلى فهم أعمق لأبعاد الحوار والاختلاف الديني في إطار من الموضوعية والإنصاف.

- **مشكلة البحث:**

يُعد أهل الكتاب من الطوائف الدينية التي ارتبطت معتقداتهم بالديانات السماوية الاخرى، وقد شكلت علاقتهم بالإسلام منذ ظهور دعوته مجالاً واسعًا للتفاعل العقائدي والحوار الفكري، اتصف بتعدد المواقف وتباينها بين الاذعان والانكار وبين القبول والاعتراض. وقد صدرت عن بعضهم طعون وادعاءات تطال اصول الدين الاسلامي وخاصة ما يتعلق برسول الله (ﷺ) . ومن هذا المنطيق تتحدد اشكالية هذا البحث في دراسة الخلفيات الدينية والفكرية التي استندت اليها هذه الادعاءات، وبيان مدى تعارضها او تطابقها مع ما جاء من النصوص الشرعية والتاريخية .

- **منهجية البحث :**يرتكز هذا البحث على الأسلوب الوصفي التحليلي المقارن، نظرًا لكونه الأجدر في معالجة القضايا الدينية والفكرية التي تتسم بطبيعة خلافية وجذور تاريخية من خلال تحليل النصوص الدينية ومقارنتها بما ورد في كتبهم،اذ اوضحنا المبحث الاول مفهوم اهل الكتاب ومكانتهم في الخطاب الاسلامي ثم تطرقنا الى نظرة الاسلام تجاههم وفي المبحث الثاني اوضحنا ابرز ادعاءاتهم التي وجهها اهل الكتاب للاسلام ولشخص النبي محمد (ﷺ) مع بيان الرد السلامي عليها بالادلة الشرعية، واختتم البحث بخلاصة لاهم النتائج التي توصل اليها وتوصيات في تعزيز الخطاب الاسلامي تجاه هذه الشبهات.

2) ابراهيم الشاذلي سيد قطب، في ظلال القرآن، 6\3952.

المبحث الاول: أهل الكتاب ونظرة الاسلام لهم
المطلب الاول/ المفاهيم الاساسية

أهل الكتاب في الاصطلاح يُقصد بهم اليهود والنصارى[3]، وهم أتباع التوراة والإنجيل، وهما كتابان سماويان أُنزلا قبل الإسلام. وقد خُصّوا بهذا الوصف لارتباطهم بنصوص مقدسة إلهية. يخرج من هذا التعريف غيرهم من الكفار الذين لا يؤمنون بكتاب سماوي. وورد ذكرهم في القرآن الكريم بلفظ "يا أهل الكتاب" إشارة إلى التوراة والإنجيل تحديدًا. فهم يُعاملون معاملة خاصة تميّزهم عن بقية المشركين في بعض الأحكام الشرعية.

أولاً: - المعنى اللغوي لمصطلح " أهل الكتاب "

جاء لفظ "الأهل" في اللغة بمعاني متعددة، منها: الأقارب والعشيرة، فيُقال: "أهل الرجل" أي أقرباؤه ومن يحيطون به من ذوي القربى. كما يطلق على الزوجة والخاصة من الناس المقربين، ويقال: (أهل البيت) أي ساكنوه، و(أهل الأمر) أي القائمون عليه من ولاة وأصحاب سلطة، و(أهل المذهب أو الدين) أي معتنقوه والملتزمون بتعاليمه، ومن ذلك قولهم: "أهل الإسلام" أي المنتمون إليه والداخلون في دينه [4].

أما "الكتاب" في الأصل اللغوي، فهو مأخوذ من الفعل "كتب"، أي خطّ ودوّن، والكتاب هو ما يُكتب فيه، ويُطلق أيضًا على الصحيفة والمسطور والمكتوب، وقد يُراد به التوراة أو الإنجيل أو أي من الكتب السماوية المنزلة. وعند ذكر مصطلح "الكتاب" في القرآن الكريم في سياق الإضافة، مثل قوله تعالى: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ﴾، فالمقصود به غالبًا: التوراة والإنجيل، أي الكتب التي أنزلت على موسى وعيسى (عليهما السلام) وأن المقصود بـ"أهل الكتاب" هم أولئك الذين ينتمون إلى هذه الكتب، أي اليهود والنصارى، الذين تلقوا الرسالات السماوية قبل الإسلام [5]. وبذلك يتّضح أن مصطلح "أهل الكتاب" يحمل دلالة لغوية تدور حول الجماعة المرتبطة بكتاب سماوي معين، وهم من يلتفّون حوله ويستقون منه تعاليمهم وعقائدهم، ويستنبطون منه أحكامهم الدينية والتشريعية.

ثانيًا: - المعنى الاصطلاحي لأهل الكتاب: في الاصطلاح الشرعي، يُطلق مصطلح "أهل الكتاب" على فئتين من غير المسلمين، وهما: اليهود والنصارى، إلى جانب من تبعهم واعتنق عقائدهم المختلفة عبر فرقهم ومذاهبهم. ويخرج من هذا الوصف باقي أصناف الكفار والمشركين الذين لم يؤمنوا بأي كتاب سماوي، ولا يُدرجون ضمن هذا التصنيف [6].

وقد استُدل على هذا التحديد من خلال قوله تعالى: ﴿أَن تَقُولُوا إِنَّمَا أُنزِلَ الْكِتَابُ عَلَى طَائِفَتَيْنِ مِن قَبْلِنَا﴾ **[الأنعام: 156]** وهو ما يشير صراحة إلى أن المقصود بأهل الكتاب هما الطائفتان اللتان أُنزلت عليهما كتب سماوية سابقة، وهما اليهود الذين أُنزل عليهم التوراة، والنصارى الذين أوتيوا الإنجيل. وقد وضّح الشهرستاني هذا المفهوم بقوله: إن الخارجين عن ملة الإسلام، ممن يدّعون لأنفسهم شريعةً وأحكامًا خاصة، ينقسمون إلى صنفين:

الأول: من يمتلكون كتابًا سماويًا حقيقيًا، كالتوراة والإنجيل، وهؤلاء هم المعنيّون في الخطاب القرآني بلقب "أهل الكتاب". والثاني: من لديهم شبه كتاب أو معتقدات متأثرة بالكتب السماوية، كالمجوس، الذين لا يعدّون من أهل الكتاب في الاصطلاح الدقيق، وإن اشتركوا معهم في بعض المظاهر العقائدية أو العبادية.

---

3) فأهل الكتاب هم اليهود والنصارى سموا أهل الكتاب لأن الله أنزل عليهم كتابين؛ على بني إسرائيل، الأول على موسى وهو التوراة، والثاني على عيسى وهو الإنجيل، فلهذا يقال لهم: أهل الكتاب. انظر: المغني، ابن قدامة، ٣٢٩/٩، الشهرستاني، الملل والنحل، ص٢٤٧.

4) فيروز آبادي، القاموس المحيط، 1\963، ابن الفارس، مقاييس اللغة، 1\150.

5) ابراهيم مصطفى واحمد حسن الزيات وحامد عبد القادر، المعجم الوسيط، 1981، الطبعة الثانية، المكتبة الاسلامية للطباعة والنشر، تركيا، ص286.

6) المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، ص97.

ثالثاً: مفهوم الادعاء من حيث اللغة والاصطلاح

الادعاء في أصل اللغة مشتق من الفعل (ادّعى)، ويُقال: "ادّعى الأمر" إذا نسبه إلى نفسه، سواء أكان له فيه حق أم لم يكن، فهو زعم يُنسب لصاحبه، قد يكون مبنيًا على الحقيقة أو على الوهم. يُقال مثلًا: "ادّعى فلان ملكية مالٍ معين"، أي نسب المال إليه وادّعى أحقيته فيه. كما يقال: "ادّعى على غيره"، أي خاصمه ونسب إليه أمرًا أمام جهة قضائية. ويأتي "الادعاء" في اللغة أيضًا بمعنى التمنّي أو الطموح لنيل أمر ما، كما في قوله تعالى: ﴿لَهُمْ فِيهَا فَاكِهَةٌ وَلَهُمْ مَا يَدَّعُونَ﴾ [يس : 57]، أي لهم ما يتمنّونه ويشتهونه من النعيم. كذلك يُستعمل الادعاء في دلالة النَّسب، مثل: "ادّعى إلى أبيه"، أي انتسب إليه أو ألحق نفسه به (7).

أما اصطلاحًا، فالادعاء يُعبّر عن الإخبار عن حق مع المطالبة به، وهو ما يُعرف في القانون والفقه بـ" الدعوى". فالدعوى اسم مصدر من الفعل "ادّعى"، وتعني مطالبة شخص بحقٍّ يزعمه لنفسه تجاه آخر، سواء كان هذا الادعاء مؤيدًا بدليل واضح أو مجرد دعوى لا تستند إلى برهان. ويرتبط مفهوما "الادعاء" والدعوى" ببعضهما ارتباطًا وثيقًا، حيث إن كل دعوى تتضمن ادعاءً، لكن ليس كل ادعاء يُقبل قانونًا أو شرعًا ما لم يقترن بما يدعمه من أدلة. وقد عبّر العلماء عن هذا الأصل في القاعدة الفقهية المشهورة: (البينة على من ادّعى، واليمين على من أنكر)، ما يدل على أن مجرد الادعاء لا يكفي لإثبات الحق، بل لا بد من إقامة دليل يُعزّز صحته. ومن هنا، يتضح أن الادعاء في اللغة هو الزعم أو النسبة، أما في الاستعمال الاصطلاحي فهو إثبات حق مقرون بالمطالبة القضائية أو القانونية به، ويخضع في قبوله لشروط محددة، أبرزها توفر الحجة والدليل (8)

المطلب الثاني/ النظرة الاسلامية العامة لأهل الكتاب

يولي القرآن الكريم اهتمامًا بالغًا بأهل الكتاب، وهم اليهود والنصارى، لما في الحديث عنهم من حكم بالغة وفوائد عظيمة للأمة الإسلامية. فقد تحدث عن أنبيائهم وكتبهم، وما أصابها من تحريف وكتمان، لاسيما ما يتعلق ببشارات النبي محمد (ﷺ). وأشار إلى انحرافاتهم العقائدية، كالقول بأن لله ولدًا أو نسبته إلى الفقر، وذُكرت مواقفهم من دعوة الحق، وعداوتهم للمؤمنين، وما اتصفوا به من جحود وحسد.

تناول القرآن قصص أنبيائهم بالتفصيل، كسيرة موسى (عليه السلام) الذي أُنزلت عليه التوراة، وقصة عيسى (عليه السلام) الذي أُنزل عليه الإنجيل، وبيّن معجزاتهم ومواقفهم مع أقوامهم. وسُمّيت بعض السور بأسماء ذات علاقة بأهل الكتاب، مثل: البقرة، آل عمران، المائدة، ومريم؛ وذلك لما لها من دلالة ورمزية عندهم، بهدف استمالتهم للإيمان، وللتأكيد على وحدة المصدر الإلهي بين الكتب السماوية (9).

كما كشف القرآن الكريم عن دور أهل الكتاب في إثارة الشبهات والطعن في الإسلام، محذرًا من تقليدهم أو الانسياق خلفهم، ومُبيّنًا أن بعضهم آمن بالنبي (ﷺ) وصدّق ما جاء به، لما وجدوه موافقًا لما في كتبهم. وهذا يوضح أن دعوة الإسلام موجهة للعالمين، وأن هداية أهل الكتاب قد تكون سببًا في هداية غيرهم من الأمم.

وقد حذر الإسلام من الوقوع فيما وقع فيه أهل الكتاب من تفريط في الدين وتحريف للكلم عن مواضعه، وجعل ذلك عبرة للمسلمين حتى لا يسلكوا طريقهم، ولذلك يُردد المسلمون في صلواتهم دعاء الاستقامة

---

7) صالح بن عبد الله بن حميد، "اصول الحوار وآدابه في الاسلام"، دار المنارة للنشر والتوزيع، جدة-السعودية، ص51.

8) المصدر السابق، المعجم الوسيط، ص265.

9) الصنعاني، سبل الاسلام – شرح بلوغ المرام من جمع ادلة الاحكام، 2005، الجزء الثالث، الطبعة الاولى، مكتبة الصفا، القاهرة، ص184.

وطلب الهداية، كما في سورة الفاتحة: ﴿صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ﴾ الفاتحة ايه :7، فالمغضوب عليهم هم اليهود الذين عرفوا الحق وتركوه، والضالون هم النصارى الذين عبدوا الله على جهل.

ويشير الحديث النبوي الشريف إلى أن بعض المسلمين قد يقلدون أهل الكتاب في سلوكهم، مما يُعد تحذيرًا من الانجرار خلف ممارساتهم، كما أن القرآن نبه إلى خطورة عداوتهم التاريخية تجاه الإسلام، وسعيهم لإطفاء نوره. ولكن وعد الله أن يتم نوره ولو كره الكافرون، كما في قوله تعالى: ﴿يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ... وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ﴾ [الصف: ايه 8-9] [10] .

_ المبحث الثاني _

أبرز ادعاءات اهل الكتاب: المطلب الاول/ ادعاءات أهل الكتاب و موقفهم من دعوة الرسول(ﷺ)

تناول القرآن الكريم عددًا من المزاعم الباطلة التي أطلقها أهل الكتاب، فقام بتفنيدها والرد عليها بيانًا للحق ودعوةً لهم للرجوع عنه، كما جاء ذلك وقايةً للمسلمين من الوقوع في شَركها أو التأثر بها.

الفرع الاول:- ادعاءات اهل الكتاب الزائفة ورد القرآن الكريم عليهم

أولًا :- ادعاء اهل الكتاب أن الهداية لا تكون إلا باتباع ملتهم

من أبرز ما نسبه القرآن إلى أهل الكتاب من دعاوى باطلة، ادعاؤهم بأن طريق الهداية منحصر في اتباع دينهم. قال الله تعالى: (وَقَالُوا كُونُوا هُودًا أَوْ نَصَارَىٰ تَهْتَدُوا ۗ قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِـۧمَ حَنِيفًا ۖ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ [البقرة: 135].

نقل القرآن مزاعم كلا الطائفتين من أهل الكتاب – اليهود والنصارى – بأن كل فريق يزعم أن سبيل الحق والهداية يكمن في اتباع ديانته الخاصة، مدعيًا أن شريعته هي التي أُمر الناس باتباعها [11]. وقد أمر الله تعالى نبيه محمد (ﷺ) أن يُبيّن بطلان هذا الادعاء، فأوضح أن الهداية تكون في الاقتداء بإبراهيم (عليه السلام) الذي كان حنيفًا[12] وكان على ملة التوحيد خاليًا من الشرك. والحنيفية هي الدين الذي اصطفاه الله لإبراهيم عليه السلام، والذي دعا إليه، وهو الإسلام لله بالطاعة والامتثال. هذه الملة، ملة إبراهيم، هي الطريق المستقيم، ومن التزم بها فقد اهتدى وفاز، أما من أعرض عنها، فقد ظلم نفسه وأوردها موارد الهلاك، كما قال تعالى : ﴿وَمَن يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَٰهِـۧمَ إِلَّا مَن سَفِهَ نَفْسَهُۥ﴾ [البقرة: 130]، أي أن من يترك نهج إبراهيم فقد اختار الجهل على الهدى، وابتعد عن صراط الله، مخالفًا سُنَن المهتدين من الأنبياء والمرسلين. وقد بيّن الله عز وجل أن ملة إبراهيم هي الإسلام، ووصى بها أبناءه، وكذلك فعل يعقوب عليه السلام مع ذريته. فتلك الملة هي دين جميع الأنبياء، توحيد خالص لله تعالى، خالٍ من كل شرك أو زيغ، ولذلك فهي خير الأديان وأكملها، كما قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ﴾ [النساء: 125]. ومن أعمدة ملة إبراهيم : الإيمان بجميع رسل الله وأنبيائه دون تفرقة، والتصديق بكل ما أنزل إليهم من الوحي والمعجزات، وهو ما يُشكل جوهر الدين الحق، الذي يهدي إلى الصراط المستقيم. قال الله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّنِى هَدَىٰنِى رَبِّىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [الأنعام: 161].

قال ابنُ كثير: (يُصَدِّقون بجميعِ الأنبياءِ والرُّسُلِ والكُتُبِ المنَزَّلةِ ...لا يُفَرِّقون بين أحدٍ منهم، ... خاتَمِ الأنبياءِ والمُرسَلين، الذي تقومُ الساعةُ على شريعتِه) [13]

وقد بيّن الله تعالى أن أهل الكتاب ليسوا على ملة إبراهيم، رغم ادعائهم ذلك، لأنهم قد انحرفوا عنها، وأشركوا بالله ما لم يُنزّل به سلطانًا[14]. كما في قوله تعالى: ﴿قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِـۧمَ حَنِيفًا﴾ البقرة : ايه :135 فـ"بل" هنا للرد والإضراب عن زعمهم، أي أن الهداية ليست في ملتهم، بل في ملة إبراهيم الحنيف، التي خالفوها واقعًا رغم دعواهم الظاهرة. وقد نقل عن قتادة قوله في الآية: "رغب عن ملته اليهود والنصارى، واتخذوا اليهودية والنصرانية بدعًا ليست من عند الله، وتركوا ملة إبراهيم، أي الإسلام الحنيف، كذلك

---

10) محمد علاء الدين، شرح تنوير الابصار، 2003، المجلد 11، الطبعة الثانية، دار الكتب العلمية، بيروت، ص53.

11) الرازي، مفاتيح الغيب، 1981، 16\31. المحلي، تفسير الجلالين،2009، ص245.

12) **الحنيف" ، فإنه المستقيم من كل شيء. وقد قيل: إن الرجل الذي تقبل إحدى قدميه على الأخرى، إنما قيل له " أحنف" ، نظرا له إلى السلامة، كما قيل للمهلكة من البلاد. تفسير الطبري، ص21.**

13) يُنظر: تفسير ابن كثير،1/ 736.

14) سنن الترمذي، كتاب ابواب تفسير القرآن، 5\278.

بعث الله نبيه محمدًا (ﷺ) على ملة إبراهيم". فكان أمر الله لنبيه (ﷺ) أن يُكذّب دعواهم ويُبيّن أن الحق ليس في تقليدهم، وإنما في التمسك بدين إبراهيم عليه السلام، الذي يمثل التوحيد الخالص والانقياد الكامل لله عز وجل، وهو الدين الذي اتفقت عليه دعوة الأنبياء كافة، وإن اختلفت تفاصيل الشرائع، فالمضمون واحد: الإسلام لله وحده، ولا يُقبل غيره. (15)

وبعد أن أوضح الله تعالى ملة إبراهيم بأنها الملة المستقيمة، دعا اليهود والنصارى إلى اتباعها، محذرًا من العداوة والمجابهة إن رفضوا ذلك، فقال: ﴿فَسَيَكْفِيكَهُمُ ٱللَّهُ ۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾، أي أن الله عز وجل سيتولى رد كيدهم، ويحفظ دعوة نبيه من شرهم. ثم ختم الخطاب بقوله : ﴿صِبْغَةَ ٱللَّهِ ۖ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ صِبْغَةً﴾، والمقصود بـ"صبغة الله": فطرته ودينه الذي خلق الناس عليه، وظهور أثره في المؤمن كالصبغة في الثوب، وهو دين الإسلام الذي ارتضاه لعباده. ومن ثم، فإن ملة إبراهيم هي الفطرة النقية التي خلق الله الناس عليها، وهي أولى أن تُتّبع من سواها. فقد جاء في الحديث عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله (ﷺ) قال: «ما من مولود إلا يولد على الفطرة، فأبواه يهودانه، أو ينصرانه، أو يمجسانه...» ثم تلا قوله تعالى: (﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا﴾ [الروم: 30] (16).

ثانيًا :- ادعاء اهل الكتاب باحتكار الجنة لليهود والنصارى

من المزاعم التي تمسك بها أهل الكتاب: ادعاؤهم أن الجنة لا يدخلها إلا من كان يهوديًا أو نصرانيًا، وقد ردّ القرآن هذا الزعم بقوة، مبينًا أنه مجرد أمانيّ لا أساس لها. قال الله تعالى: ﴿وَقَالُوا۟ لَن يَدْخُلَ ٱلْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصَـٰرَىٰ ۗ تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ ۗ قُلْ هَاتُوا۟ بُرْهَـٰنَكُمْ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ ۝ بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُۥٓ أَجْرُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ ۖ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ (17) [البقرة: ١١١–١١٢]

أي أن دعوى اختصاص الجنة بأتباع ديانتهم لا تقوم على دليل، بل هي مجرد أمنيات لا وزن لها، لأن الحق يُعرف بالحجج لا بالأماني. ثم بيّن الله أن الفوز الحقيقي بالجنة لا يتحقق بالانتساب الشكلي لأي ملة، بل بتحقيق الإسلام لله تعالى، والإحسان في العمل، وهو ما يجلب الأمن يوم القيامة. كما أكّد هذا المبدأ في موضع آخر، فقال: ﴿لَّيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلَآ أَمَانِىِّ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ ۗ مَن يَعْمَلْ سُوٓءًا يُجْزَ بِهِۦ ۙ وَلَا يَجِدْ لَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ۝ وَمَن يَعْمَلْ مِنَ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ مِن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ نَقِيرًا﴾ [النساء: ١٢٣–١٢٤] فالآية تُبيّن أن المعيار الحقيقي في النجاة ليس ما يزعمونه من انتماء ديني، بل هو الإيمان بالله والعمل الصالح، وهذا هو ميزان العدالة الإلهية الذي لا يحابي أحدًا.

ثالثًا :- ادعاء اهل الكتاب أنهم أبناء الله وأحباؤه

ادّعى بعض أهل الكتاب أن لهم مكانة خاصة عند الله، بل زعموا أنهم أبناؤه وأحباؤه، وهو ادعاء يدل على التكبر والشعور الكاذب بالاصطفاء. قال الله تعالى: ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ وَٱلنَّصَـٰرَىٰ نَحْنُ أَبْنَـٰٓؤُا۟ ٱللَّهِ وَأَحِبَّـٰٓؤُهُۥ ۚ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُم بِذُنُوبِكُم ۖ بَلْ أَنتُم بَشَرٌ مِّمَّنْ خَلَقَ ۚ يَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ ۚ وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ۖ وَإِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ﴾ [المائدة: ١٨] فلو كانوا كما يدّعون لما عذبهم الله على ذنوبهم، ولكنهم بشر كغيرهم، يُجازَون على أعمالهم، ويخضعون لمشيئة الله في المغفرة أو العقاب. وقد وردت في كتبهم المحرفة نصوص تدعم هذا التصور، مثل قولهم في "سفر التثنية" (18): "أنتم أولاد للرب إلهكم...

---

15) **تيسير الوصول شرح ثلاثة الأصول، د. عبد المحسن القاسم (113-116.**
16) المصدر السابق، حقيقة العلاقة بين اليهود والنصارى، 2000، الطبعة الاولى، دار المعالي، عمان-الاردن.
17) الفوزان، الارشاد الى صحيح الاعتقاد والرد على اهل الشرك والالحاد، ص307.
18) سفر التثنية هو خامس أسفار موسى، ويحتوي على تعاليم وقوانين مهمة لبني إسرائيل قبل دخولهم أرض الميعادالقمص تادرس يعقوب البلطمي، سفر التثنية ،ص5.

وقد اختاركم الرب ليكون لكم شعبًا خاصًا فوق جميع الشعوب" [19] . لكن القرآن الكريم يردّ هذه الدعوى، ويؤكد أن الله لا يُجامل أحدًا، وأن المعيار الحقيقي هو التقوى والعمل، لا النسب ولا الانتساب الشكلي لدين من الأديان.

رابعًا :- ادعاءهم أن إبراهيم عليه السلام وأبناؤه كانوا يهودًا أو نصارى

من الادعاءات الباطلة التي ذكرها القرآن الكريم عن أهل الكتاب وردّها عليهم، قولهم بأن إبراهيم عليه السلام وأبناؤه كانوا من اليهود أو النصارى. قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ إِنَّنِي بَرَاءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ ﴾ **[البقرة: 140]** زعموا جهلاً وتضليلاً أن إبراهيم وأولاده كانوا يتبعون اليهودية أو النصرانية، فأكذبهم الله سبحانه وتعالى بقوله: ﴿وَمَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَٰكِن كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ **[آل عمران: 67]** تدل هذه الآيات على أن الأمة إذا غرقت في الجهل ودخلت في عقائد متناقضة، فستعتقد ما لا يتوافق مع الحقيقة والدليل، وهذا ما حدث في ادعاء أهل الكتاب.

وقد عرف أهل الكتاب مكانة إبراهيم (عليه السلام)، فاستعملوه كوسيلة للدعاءلأنفسهم، بل حاوروا المسلمين مدعين تبعيتهم له، وحتى مشركو العرب كانوا يدّعون نسبتهم إليه، كما ورد في الحديث عن ابن عباس رضي الله عنهما، أن النبي (صلى الله عليه وسلم) لما قدم مكة رفض دخول البيت الذي فيه الأصنام، فأمر بإخراج صورة إبراهيم وإسماعيل(عليهما السلام)، وقال: "قاتلهم الله، لقد علموا: ما استقسما بها قط". ويُبيّن قوله تعالى: ﴿قَدْ نَبَّأَنَا ٱللَّهُ بِهِۦ ۖ فَأَفَأَنتُمْ لَهُۥ تَكْفُرُونَ ﴾ **[البقرة: 140]**

أن الله أخبر عن هذا الواقع في كتب أهل الكتاب، فهل أنتم أعلم بالله أم أنتم تكتمون الحق الذي في كتبكم؟ وقد بيّن القرآن أن إبراهيم (عليه السلام) كان مسلمًا حنيفًا، أي مستقيمًا على التوحيد، مخالفًا للشرك الذي انتشر في زمانه، وهذا رد صريح على ادعاء أهل الكتاب زعم اتباعهم لإبراهيم بينما هم في الواقع على شرك. وأولى الناس بإبراهيم هم الذين على مذهبه، ومنهم النبي محمد (صلى الله عليه وسلم)ومن آمن به، لأنهم على نفس الملة [20].

خامسًا :- ادعاءهم نفي الحق عن غيرهم.

ومن دعاوى أهل الكتاب الباطلة أيضًا، قولهم إن الحق لا يكون إلا لهم، ونفيه عن غيرهم. قال تعالى: ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ وَٱلنَّصَٰرَىٰ نَحْنُ أَبْنَٰٓؤُا۟ ٱللَّهِ وَأَحِبَّٰٓؤُهُۥ ۚ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُم بِذُنُوبِكُم ۖ بَلْ أَنتُم بَشَرٌ مِّمَّنْ خَلَقَ ۚ يَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ ۚ وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ۖ وَإِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ﴾ **[المائدة: 18]** وقد جاء هذا القول واضحًا في موقفهم عند مجادلة وفد نجران، إذ كان كل فريق منهم ينفي صحة دين الآخر، ويرميه بالباطل. فالقرآن يوبّخ أهل الكتاب على جهلهم هذا ونفيهم الحق، ويؤكد أن الحكم يوم القيامة بيد الله وحده، وهو العادل في جميع أقواله وأفعاله [21].

الفرع الثاني:- موقف اهل الكتاب من دعوة الرسول(ﷺ)

إن الاعتقاد بنبوة محمد (ﷺ) بوصفة خاتم الأنبياء يُعدّ أمرًا جوهريًا في دعوة أهل الكتاب إلى الإسلام وتصحيح مفاهيمهم المنحرفة، إذ إن إيمانهم به وبرسالته يقتضي بالضرورة رفضهم لما أدخله علماؤهم ورهبانهم من باطل، وما دونوه من تحريفات وافتراءات في كتبهم. قال الله تعالى: (اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابًا من دون الله...) **[التوبة: 31]**، وقال أيضًا: (فويلٌ للذين يكتبون الكتاب بأيديهم ثم يقولون هذا من عند الله...) **[البقرة: 79]**. فبإقرارهم بنبوته (ﷺ) تزول كل الأوهام التي أقاموها، وتنهار الأسس الفاسدة التي شيدوها على غير هدى. كما أن تصديقهم برسالة النبي محمد (ﷺ) يعني الاعتراف بأنه جاء بوحي إلهي يُبطِل ما قبله من الشرائع، ويُبيّن لهم الحق الذي طالما اختلفوا فيه. قال تعالى : (يا أهل الكتاب قد جاءكم رسولنا يبين لكم كثيرًا مما كنتم تخفون من الكتاب...) **[المائدة: 15]**، ولهذا نجد أن القرآن الكريم أولى هذه المسألة اهتمامًا كبيرًا، حيث فصّل موقف أهل الكتاب منها، وردّ على من جحدها وكذّب بها، مبيّنًا أن دعوته قائمة على الإيمان بجميع الرسل، لاسيما برسالة محمد (ﷺ)، وأن هذا الإيمان يمثل ركنًا أساسيًا من أركان العقيدة. قال الله عز وجل: {لا نفرق بين أحد من رسله...} **[البقرة: 285]**، أي لا يجوز التمييز بين

19) ابن عاشور، التحرير والتنوير، 28\153.
20) الجزائري، أيسر التفاسير لكلام على الكبير، 5\327.
21) الزمخشري، الكشاف، 1\179.

نبي وآخر، فالإيمان بموسى (ع)لا يتعارض مع التصديق بعيسى(ع) ومحمد (ص) ، بل جميعهم أنبياء أوحى الله إليهم بشرائعه، وجميعهم صادقون مصطفَون، منزهون عن الخطأ والنقص [22].
كما أشار القرآن الكريم إلى أن الرسل جميعًا دعوا أممهم إلى الإيمان بالله، وغرسوا تلك العقيدة في نفوس أتباعهم، كما في قوله تعالى عن عيسى(ع): (وإذ قال عيسى ابن مريم يا بني إسرائيل إني رسول الله إليكم مصدقًا لما بين يدي من التوراة ومبشرًا برسول يأتي من بعدي اسمه أحمد...) **[الصف: 6]**. ومع أن عيسى عليه السلام بشّر بمحمد (ﷺ)، وعرّف أهل الكتاب بأوصافه، إلا أنهم لما بعثه الله عز وجل أنكروه، وتجاهلوا الأدلة الظاهرة التي تدل على نبوته، وأعرضوا عن الحق عنادًا واستكبارًا. وقد بيّن القرآن الكريم أن أهل الكتاب كانوا ينتظرون بعثة النبي (ﷺ) ويتحدثون بها، بل كانوا يستنصرون به على المشركين، فلما جاءهم من لم يتوقعوه – وهو من العرب – كفروا به، حسدًا وعدوانًا. قال تعالى: (وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا، فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به...) **[البقرة: 89]**.
ثم وجّه الله سبحانه وتعالى خطابًا مباشرًا لأهل الكتاب، يدعوهم فيه إلى الإيمان بالنبي محمد (ﷺ)، مذكّرًا إياهم بأنه جاء في زمن قد انقطعت فيه النبوات، وبعد أن طال الزمان بينهم وبين عيسى عليه السلام، وعمّ الانحراف والضلال، وانتشرت عبادة الأصنام والصلبان. فكانت بعثة النبي ﷺ رحمة ونعمة عظمى أنقذت البشرية من الظلام، وأعادتهم إلى طريق التوحيد والهداية.
قال تعالى: (قد جاءكم رسولنا يبين لكم على فترة من الرسل...) **[المائدة: 19]**، أي في زمن انقطاع الوحي، ليقطع الله الحجة على من زعم أنه لم تصله الرسالة، إذ قد جاءهم نذير وبشير، هو محمد (ﷺ).
وقد اختلفت مواقف أهل الكتاب من هذه الرسالة، كما بيّنها القرآن الكريم، إذ أشار إلى أن منهم من آمن، ومنهم من كفر، ومنهم من كتم الحق رغم علمه به، وقد تكررت هذه التصنيفات في سياقات متعددة من آيات الكتاب العزيز، وكل منها يعكس طبيعة استجابتهم تجاه دعوة الإسلام ونبيّه الكريم (ﷺ) وكما يلي :

أولًا/ جماعة من أهل الكتاب آمنت بالنبي محمد (ﷺ) ورسالته

وهي الفئة الأولى التي أشار إليها القرآن الكريم في قوله تعالى : (لَيْسُواْ سَوَآءً ۗ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ أُمَّةٌ قَآئِمَةٌ يَتْلُونَ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ ۝ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأٰخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ ۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ۝ وَمَا يَفْعَلُواْ مِنْ خَيْرٍ فَلَن يُكْفَرُوهُ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلْمُتَّقِينَ ۝) **[آل عمران: 113–115]**. فقد أوضح الله تعالى في هذه الآيات أن أهل الكتاب ليسوا جميعًا على درجة واحدة من الضلال والانحراف، بل يوجد بينهم من آمن بالله وسلك طريق الاستقامة، في مقابل أكثرهم الذين وصفهم بالفسق، كما جاء في قوله سبحانه : (كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ۗ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم ۚ مِّنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ) **[آل عمران: 110]**. وقد عدد الله سبحانه صفات هذه الطائفة المؤمنة من أهل الكتاب، وأثنى عليهم بثماني خصال، كلها تدل على الفضل والإيمان، أولها وصفهم بأنهم "أمة قائمة" أي ثابتة على طريق الحق، وهي الجماعة التي أسلمت منهم، مثل عبد الله بن سلام وغيره، وفيهم نزلت هذه الآيات. كما أثنى على قيامهم الليل وعبادتهم، وعبّر عن ذلك بتلاوتهم لآيات الله آناء الليل وهم يسجدون، وهو تصوير بالغ في الإشادة بهم [23].
ثم تابع بذكر صفاتهم الأخرى: (يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأٰخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ)، فهم على إيمان راسخ بالله واليوم الآخر، ويؤمنون بجميع الكتب السماوية والرسل، ويؤدّون واجبهم في الدعوة للخير والنهي عن الشر، ويبادرون إلى فعل الطاعات.

22) السعدي، تيسير الكريم الرحمن،2004، ص162.
23) الطبري، جامع البيان، 24\542، ابن كثير، تفسير القرآن الكريم، 8\457.

وقد علّق البيضاوي على ذلك بقوله : إن هذه الصفات لم تكن موجودة في عامة اليهود، الذين انحرفوا عن طريق الحق، ولم يكونوا ممن يتعبدون لله ليلًا، بل أشركوا بالله، وضلوا في صفاته، وخالفوا الحقائق المتعلقة بالآخرة، وتهاونوا في فعل الخيرات [24]. ثم ختم الله سبحانه وصفهم بالإشارة إلى صلاحهم، وأن أعمالهم لن تذهب سُدى، بل سيكافأون عليها جزاءً حسنًا، فقال: (وَمَا يَفْعَلُواْ مِنْ خَيْرٍ فَلَن يُكْفَرُوهُ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلْمُتَّقِينَ) **[آل عمران: 115]**، أي لن يُنقص من حسناتهم، بل يُجزون عليها الجزاء الأوفى، وذلك مصداق قوله تعالى: (هَلْ جَزَآءُ ٱلْإِحْسَـٰنِ إِلَّا ٱلْإِحْسَـٰنُ) **[الرحمن: 60]**. وفي ذلك دعوة رقيقة لبقية أهل الكتاب للدخول في الإسلام، وتحفيز لهم للاقتداء بهؤلاء المؤمنين منهم.

و قال الطبري : «فيض الدمع يعني امتلاء العين ثم سيلانه، كما يفيض النهر إذا امتلأ بالماء»[25]. وهذا التأثر نابع من معرفتهم بالبشارة التي وردت في كتبهم ببعثة محمد (ﷺ)، وانضمامهم إلى الذين يشهدون بنبوّته ويؤمنون به.. **وقال ابن كثير** : هذه الفئة من النصارى هي المقصودة في قوله تعالى: (وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ لَمَن يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِمْ خَـٰشِعِينَ لِلَّهِ لَا يَشْتَرُونَ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا أُوْلَـٰٓئِكَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ) **[آل عمران: 199]**. فجزاهم الله على صدق إيمانهم ويقينهم بنبوّة محمد ﷺ جنات النعيم خالدين فيها، فهو سبحانه لم يعد بالثواب في الآخرة إلا لمن آمن بنبيّه واتبعه. وفي قوله تعالى : (وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ لَمَن يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِمْ) **[آل عمران: 199]** دلالة بينة على أن هذه الطائفة تؤمن بالنبي (ﷺ) وبالوحي الذي نزل عليه، وهذا هو الإيمان الحق الذي يثمر الخشية من الله والانقياد له، وأصحابه لا يبيعون دينهم بعرض من الدنيا أبدًا. [26].

ثانيًا/ الفئة التي أنكرت رسالة النبي محمد (ﷺ) ومبعثه

تمثل هذه الطائفة القسم الثاني من أهل الكتاب، وهم الذين أنكروا بعثة النبي محمد (ﷺ)، وجحدوا نبوءته، على الرغم من معرفتهم بصفاته الواردة في كتبهم، ويقينهم بصدق دعوته. وقد توعّدهم الله تعالى بالعذاب، فقال: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ وَٱلْمُشْرِكِينَ فِى نَارِ جَهَنَّمَ خَـٰلِدِينَ فِيهَآ أُوْلَـٰٓئِكَ هُمْ شَرُّ ٱلْبَرِيَّةِ﴾ **[البينة: 6]**. فبيّن سبحانه وتعالى كفر أهل الكتاب والمشركين، إذ توعّدهم بالخلود الأبدي في نار جهنم، دون مهرب أو خلاص، وبيّن أنهم أسوأ الخلائق خلقًا ومآلًا. وقد وردت "من" في الآية بصيغة بيانية، للدلالة على أن أصناف الكافرين تشمل كلًّا من أهل الكتاب من اليهود والنصارى، وكذلك المشركين، وكلٌّ منهم يستحق العقاب ذاته [27].

ورغم أن كفر المشركين أعظم من جهة التوحيد، إلا أن تقديم ذكر أهل الكتاب في الآية كان لكون كفرهم قائمًا على علمٍ سابق، ومعرفة بنبوّة محمد (ﷺ)، وورود البشارة به في كتبهم. قال ابن عاشور في تفسيره : «قُدِّم ذكر أهل الكتاب على المشركين في هذا السياق، رغم أن كفر المشركين أشدّ، لأن أهل الكتاب كانت لهم سابقة في إقامة الحجة على المشركين، إذ بثّوا بينهم الشبهات التي تشكك في نبوة محمد (ﷺ)، وكانوا أوثق من المشركين في تقديم تلك الشبهات، لكون المشركين أميين يجهلون شؤون الرسالات، فلما واجهتهم دعوة النبي (ﷺ)، لجؤوا إلى اليهود يستمدون منهم ما يردّون به هذه الدعوة، خاصة بعد هجرته إلى المدينة»[28]..

وعليه، فإن أهل الكتاب من هذه الزاوية أكثر إثمًا، لأنهم أضلّوا غيرهم، إلى جانب ضلالهم. وهو ما يتناسق مع مضمون السورة واسمها (البينة). أما قوله "أُوْلَـٰٓئِكَ" فهو إشارة إلى بعد مرتبتهم في السوء، وبعدهم عن الحق، لكونهم متلبسين بأشدّ صور الكفر والعناد. فهؤلاء الذين أنكروا نبوة محمد (ﷺ)، هذا هو مصيرهم كما أعلنه الله تعالى، وهو حكم نهائي لا يقبل المساومة أو الجدل، مهما كان لبعضهم من مظاهر تنظيم أو أخلاق، فإنها تبقى لا قيمة لها ما دامت خالية من الإيمان بالرسالة الخاتمة، وبالنبي (ﷺ)،

24) ابو السعود، ارشاد العقل السليم، 1\176.
25) تفسير الطبري ،10: 507.
26) تفسير ابن كثير 76.
27) المصدر السابق، في ظلال القرآن، 1\101.
28) التحرير والتنوير.31: 469

كما قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَمَاتُواْ وَهُمْ كُفَّارٌ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ ٱللَّهِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾ [آل عمران: 97].

قال البيضاوي: "﴿هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ حَقًّا﴾ أي كفرًا لا يُرتجى معه إيمان، لأنه مبني على التفريق بين الرسل والإيمان ببعضهم دون بعض، وهو كفر صريح قاطع". كما جاء النهي الإلهي لهذه الطائفة عن أفعالهم القبيحة وكفرهم الصريح، في قوله تعالى : ﴿وَءَامِنُواْ بِمَآ أَنزَلْتُ مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَكُمْ وَلَا تَكُونُوٓاْ أَوَّلَ كَافِرٍۭ بِهِۦ وَلَا تَشْتَرُواْ بِـَٔايَٰتِى ثَمَنًا قَلِيلًا وَإِيَّٰىَ فَٱتَّقُونِ﴾ [البقرة: 41]. ومع أن أهل الكتاب لم يكونوا أول من كفر بمحمد (ﷺ) من حيث الزمن، حيث كانت قريش أول من أنكر دعوته في بداية الرسالة بمكة، إلا أن التعبير القرآني جاء تعريضًا بأهل الكتاب، بأنهم أولى الناس بالإيمان به، لما لديهم من علم وبشارة ببعثته [29].

قال ابن عاشور: «المراد من النهي في (ولا تكونوا أول كافر به) هو التوبيخ، لكونهم تأخروا في الإيمان رغم علمهم». وقال الراغب الأصفهاني: «أي لا تكونوا ممن يُقتدى به في الكفر، فيكون كفركم سببًا لانحراف غيركم» [30].

ثالثًا/ فئة كتمت صفات النبي محمد (ﷺ)

تمثل هذه الفئة من أهل الكتاب أولئك الذين أخفوا أو تجاهلوا عن عمد الصفات المذكورة في كتبهم حول النبي محمد (ﷺ) رغم معرفتهم بها علمًا يقينيًا. يقول تعالى : ﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَعْرِفُونَهُۥ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمْۖ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ ٱلْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: 146]. تشير الآية إلى أن علماء أهل الكتاب يدركون صدق رسالة النبي (ﷺ)، ويعرفون أوصافه الواردة في كتبهم، ومن بين تلك العلامات أنه كان يصلي إلى القبلتين. وقد استخدمت الآية تشبيهًا بليغًا يعكس درجة يقينهم في معرفته، إذ شُبّهت معرفتهم به بمعرفة الوالد لابنه، وهي معرفة خالية من الشك أو التردد. ومع هذه المعرفة الراسخة، كتم بعضهم الحقيقة التي أودعها الله في كتبهم، كما جاء في قوله: ﴿وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ ٱلْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾. ويقول تعالى كذلك: ﴿يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لِمَ تَلْبِسُونَ ٱلْحَقَّ بِٱلْبَٰطِلِ وَتَكْتُمُونَ ٱلْحَقَّ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [آل عمران: 71].

وقد فسّر الألوسي هذه الآية بقوله : إن المقصود بـ"الحق" هنا هو نبوة محمد (ﷺ) وما تضمنته كتبهم من صفاته والبشارات ببعثته، أما "تلبيس الحق بالباطل" فهو إخفاء هذه الحقيقة وخلطها بالتحريف والشبهات لإبعاد الناس عنها [31].

وقد أوضح الله تعالى أنه أخذ ميثاقًا على أهل العلم من أهل الكتاب أن يبينوا للناس ما جاء في كتبهم من الحق، ومن ذلك أوصاف النبي محمد ﷺ، فقال سبحانه : ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُۥ فَنَبَذُوهُ وَرَآءَ ظُهُورِهِمْ وَٱشْتَرَوْاْ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًاۖ فَبِئْسَ مَا يَشْتَرُونَ﴾ [آل عمران: 187].

الآية بمثابة توبيخ شديد لعلماء أهل الكتاب الذين تخلّوا عن العهد الذي أُلزموا به، وأخفوا ما علموه من صفات النبي (ﷺ)، مقابل مكاسب دنيوية زائلة، كالحفاظ على مناصبهم ومكانتهم بين أتباعهم، أو الحصول على المال والهدايا.

وحذر الالوسي : من عاقبة هذا الكتمان، قائلًا: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلْنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلْهُدَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا بَيَّنَّٰهُ لِلنَّاسِ فِى ٱلْكِتَٰبِ أُوْلَٰٓئِكَ يَلْعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ ٱللَّٰعِنُونَ﴾ [البقرة: 159] . اللعن هنا يشير إلى الطرد والإبعاد

29) السعدي، تيسير القرآن الكريم، ص239.
30) التحرير والتنوير لابن عاشور - تفسير سورة البقرة - الآية 41
31) فصل الخطاب في شرح مسائل الجاهلية ،209.

من رحمة الله، ويشملهم بذلك دعاء الملائكة والمؤمنين عليهم، لما ارتكبوه من جرم عظيم، وهو إخفاء الحق عن علم ومعرفة. [32].

المطلب الثاني/ معاملة أهل الكتاب في ضوء القرآن الكريم

وضع القرآن الكريم مجموعة من الأسس والقواعد التي تنظّم العلاقة بين المسلمين وأهل الكتاب، بوصفة تشريعًا شاملًا ينظم كل مناحي الحياة، بما في ذلك العلاقات بين المسلمين وغيرهم من أصحاب الديانات الأخرى. وتظهر في هذه الأحكام عدالة التشريع القرآني وسمو مقاصده، كما قال الله تعالى: (إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّـٰلِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا) [الإسراء: 9].

وقد ميّز القرآن الكريم في المعاملة بين أهل الكتاب وبين غيرهم من الكافرين، فأعطى كل فئة منزلتها المستحقة. فعلى الرغم من أن جميعهم خارجون عن الإسلام، إلا أن أهل الكتاب يمتازون عن غيرهم من المشركين، لإيمانهم بالله وبعض كتبه ورسله، ولو أن هذا الإيمان شابه التحريف والنقص، إلا أنه يفرقهم عن عبدة الأصنام والملحدين. لذلك، جاءت بعض الأحكام التي خصّهم بها القرآن، كجواز الزواج من نسائهم، وأكل ذبائحهم.

ومن أهم الضوابط القرآنية في التعامل مع أهل الكتاب :

أولًا: دعوتهم إلى الإسلام بالحكمة واللين

الإسلام هو الدين الذي ارتضاه الله لعباده، ولا يقبل منهم غيره، كما قال سبحانه:(وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَـٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَـٰسِرِينَ) [آل عمران: 85]. وقال أيضًا: (إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَـٰمُ وَمَا ٱخْتَلَفَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ ۗ وَمَن يَكْفُرْ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ) [آل عمران: 19].

أصل الدين الذي جاء به أنبياء أهل الكتاب هو الإسلام، ولكنهم حرّفوه وتنازعوا فيه، فابتعدوا عن تعاليمه الحقة. ولهذا دعاهم القرآن إلى التوحيد الخالص و نهى القرآن عن الجدال مع أهل الكتاب إلا بالأسلوب الحسن، وقد قدّم الله تعالى النهي عن الجدال، للدلالة على أهمية ضبط النفس، والتزام الأخلاق في الحوار، والابتعاد عن العنف في النقاش [33].

ثانيًا: ترك الإكراه في الدين واحترام حرية المعتقد

من القيم الأساسية التي رسّخها الإسلام، أن لا يُجبر أحد على الدخول فيه، قال تعالى: (لَآ إِكْرَاهَ فِى ٱلدِّينِ ۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشْدُ مِنَ ٱلْغَىِّ) [البقرة: 256]. فلا يجوز إكراه أهل الكتاب على ترك ديانتهم، بل تُرك لهم الخيار بين الإسلام والبقاء على ما هم عليه، شرط التزامهم بالنظام العام في الدولة الإسلامية، الذي يضمن الحقوق لجميع أفراد المجتمع. وقد أشار المفكر الإسلامي سيد قطب إلى أن هذه الآية تعبّر عن تكريم الله للإنسان، واحترام حريته الفكرية والدينية، وتحميله مسؤولية اختياره ونتائج قراره، مبينًا أن: "الإيمان هو سبيل الرشد الذي ينبغي للإنسان أن يسعى إليه، والكفر هو سبيل الغواية الذي يجب عليه أن ينأى عنه" [34].

وفي تاريخ المسلمين شواهد كثيرة على هذا التسامح، إذ عاش أهل الكتاب بينهم قرونًا طويلة في أمن وسلام، إلى أن أسلم كثير منهم طواعية، لما رأوه من عدالة الإسلام وأخلاق أهله، ورأوا بأعينهم التزام المسلمين بشعائرهم وتمسكهم بدينهم، في وقت فرّط فيه أتباع الديانات الأخرى في دينهم وأحكامه.

ثالثًا: الإنصاف للأمناء منهم

فرّق القرآن الكريم بين الأمناء من أهل الكتاب وبين من يخون العهد منهم، قال تعالى: (وَمِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ إِنْ تَأْمَنْهُ بِقِنْطَارٍ يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ وَمِنْهُم مَّنْ إِنْ تَأْمَنْهُ بِدِينَارٍ لَا يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ إِلَّا مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَائِمًا ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الْأُمِّيِّينَ سَبِيلٌ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ) [آل عمران: 75].

ففي هذه الآية تمييز واضح بين من يردّ الأمانة ولو كانت كثيرة (القنطار) دون طلب أو ضغط، وبين من يخون الأمانة ولو كانت يسيرة (الدينار) ولا يؤديها إلا بمطالبة مستمرة. وقد أشار العلماء إلى أن المقصود

32) تفسير الألوسي روح المعاني ، 1: 427.

33) معاملة المسلمين لأهل الكتاب من خلال القرآن والسيرة، 2022.

34) جمال بن محمد بن اسماعيل، ارشاد اولى الالباب الى ما صح في معاملة اهل الكتاب، ص195.

بـ"القنطار" [35].هو المال الكثير، مما يدل على شدة أمانته، أما الصنف الآخر فموصوف بالخيانة، ويتحجج بعقائد باطلة تبرر له أكل حقوق الآخرين [36].

رابعًا: النهي عن موالاتهم

من المبادئ العقائدية في الإسلام الولاء للمؤمنين والبراء من الكافرين، وقد قرر الله ذلك في كتابه، فقال تعالى: (قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِيٓ إِبْرَٰهِيمَ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ إِذْ قَالُوا۟ لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءَٰٓؤُا۟ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةُ وَٱلْبَغْضَآءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥٓ) **[الممتحنة: 4].**

كما نهى الله تعالى نهيًا صريحًا عن موالاة اليهود والنصارى، فقال: (يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ ٱلْيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوْلِيَآءَ ۘ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ) **[المائدة: 51].**

وقد أكد علماء التفسير أن هذه الآية تحذر من التحالف أو النصرة لأعداء الله ورسوله، وتبيّن أن من والى الكافرين فقد انحاز إليهم، وخرج من دائرة الولاء الإيماني، كما قال ابن جرير الطبري وغيره. وتجدر الإشارة إلى أن هذا النهي لا يتعارض مع سماحة الإسلام في المعاملة، فقد فرّق الإسلام بين حسن التعامل والبر، وبين الولاء القلبي والنصرة السياسية أو العسكرية [37].

خامسًا: إباحة الأكل من ذبائحهم ونكاح نسائهم

جاء في القرآن الكريم قوله تعالى: (ٱلْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمُ ٱلطَّيِّبَٰتُ ۖ وَطَعَامُ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ حِلٌّ لَّكُمْ ۖ وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَّهُمْ ۖ وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ إِذَآ ءَاتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَٰفِحِينَ وَلَا مُتَّخِذِىٓ أَخْدَانٍ ۗ وَمَن يَكْفُرْ بِٱلْإِيمَٰنِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُۥ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ) **[المائدة: 5].**

في هذه الآية أباح الله للمسلمين الأكل من ذبائح أهل الكتاب، والزواج من نسائهم العفيفات، وذلك بشرط المهر والنية الطيبة (الإحسان)، لا الفساد أو اتخاذهن عشيقات. ويُفهم من الآية أن هذه الإباحة تهدف إلى التقريب بين المسلمين وأهل الكتاب، وفتح باب الحوار والمعرفة، مما قد يكون وسيلة لهدايتهم إلى الإسلام عن قناعة.

سادسًا: إخضاعهم لحكم الإسلام

إذا وافق أصحاب الكتب السماوية على التعايش ضمن الدولة الإسلامية، فإنهم يلتزمون بما يتعلق بدينهم تحت نظام "أهل الذمة"، شرط دفع الجزية والانصياع للسلطة الإسلامية العامة، كما ورد في الآية الكريمة: (قَٰتِلُوا۟ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ ٱلْحَقِّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ حَتَّىٰ يُعْطُوا۟ ٱلْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَٰغِرُونَ) **[التوبة: 29].**

وهذا الخضوع ليس إذلالًا، بل تنظيم للعلاقة بين الدولة الإسلامية وأتباع الديانات الأخرى الذين يعيشون في كنفها، إذ تُكفل لهم الحماية، وتُصان أموالهم ودماؤهم، ويُتركون على عقائدهم، مقابل أداء مبلغ مالي رمزي (الجزية) لقاء الخدمات الأمنية والخدمية، كما يدفع المسلم الزكاة [38].

---

35) في المعجم الوسيط: (القنطار معيار مختلف المقدار عند الناس، وهو بمصر في زماننا مئة رطل، وهو/44.928/ من الكيلوغرامات، والمال الكثير، والجمع قناطير.

36) ارشاد اولى الالباب الى ما صح في معاملة اهل الكتاب، ص198.

37) عبد الحكيم احمد، احكام التعامل مع غير المسلمين والاستعانة بهم في الفقه الاسلامية (دراسة فقهية مقارنة)، 2011.

38) المصدر السابق، احكام التعامل مع غير المسلمين والاستعانة بهم في الفقه الاسلامية (دراسة فقهية مقارنة)، 2011.

- **الخاتمة والنتائج**

يتضح لنا جليًّا أن تصوير أنبياء الله في أسفار التورة والانجيل يتنافى تمامًا مع ما يجب أن يتصف به المرسلون من طهارة السيرة ونقاء السريرة. فقد نُسب إليهم في نصوص "العهد القديم" أفعال مشينة وسلوكيات منكرة، لا تليق حتى بالناس العاديين، فضلًا عن أن ذلك تُنسب إلى صفوة الخلق الذين اختارهم الله لهداية البشر. وهذه الروايات لا يمكن أن تُقبل عقلًا أو منطقًا، ولا يمكن أن تصدر بحق من اصطفاهم الله لحمل رسالته، وجعلهم قدوة للناس في الإيمان والعمل الصالح.
إن الأنبياء، عليهم الصلاة والسلام، هم بلا تردد أكمل البشر من ناحية الإيمان والأخلاق، وقد أنعم الله عليهم بالحماية والرعاية، وطهرهم من الذنوب والرذائل. وأي تفسير ينقص من شأنهم هو ببساطة افتراء محض وتشويه مقصود لمكانتهم الرفيعة.

من اهم النتائج التي توصل اليها الباحث ما يلي :

1- أظهرت الآيات القرآنية أن أصحاب الكتب السماوية ليسوا متساوين في مدى الالتزام أو السلوك، مشيرة إلى اختلافاتهم في الإيمان والسلوك، فبعضهم يتميز بالصلاح والتقوى، ويقضون لياليهم في ذكر الله، ويؤمنون باليوم الآخر، ويحثون على الخير وينهون عن الشر، في حين وُصِفت الغالبية الأخرى بالفساد والانحراف عن توجيهات الله.

2- إن ما ورد في بعض نصوص بني إسرائيل من طعنٍ في الأنبياء إنما يعكس تحريفًا مقصودًا وتبديلًا متعمدًا للحقائق، بدوافع دنيوية وأهواء بشرية. وهذا يؤكد ضرورة الرجوع إلى المصادر الصادقة الموثوقة – وفي مقدمتها القرآن الكريم – لفهم حقيقة الأنبياء وسيرهم، والتمييز بين الوحي الحق وما دُسَّ عليه من أباطيل.

3- إبراز ما تحتويه كتب اهل الكتاب من تناقضات وتبديل، من خلال الحجة والدليل الواضح . يعد برهاناً على بطلان شرائعهم المحرفة ودليلاً على ان الاسلام هو الدين الحق الذي نجى من التحريف والتزويف.

4- يعتمد العلماء في مناقشة اهل الكتاب على منهج يجمع بين النقل والعقل مستدلين بالقرآن الكريم والسنة النبوية من جهة، وبالحجج والنصوص من كتبهم من جهة اخرى.

وفي الختام، نحمد الله عز وجل على ما من به علينا من الهداية والتيسير في تحصيل هذا العلم المبارك، ونسئله سبحانه دوام التوفيق والثبات. وصل الله وسلم وبارك على نبينا وقدوتنا محمد (ﷺ).

قائمة المصادر والمراجع

اولاً : القرآن الكريم

ثانياً : المصادر المتخصصة

1. ابن عاشور، محمد الطاهر، تفسير ابن عاشور التحرير والتنوير، 1984، الدار التونسية للنشر، تونس.
2. ابن كثير، إسماعيل بن عمر، تفسير القرآن العظيم، (701–774هـ)، المجلد 4، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع.
3. أبو السعود العمادي، محمد بن محمد، إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، 2010، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

4. أبو عبد الله السعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، 2004، المجلد 4، دار ابن الجوزي، السعودية.
5. أبو الحسين أحمد بن فارس، معجم مقاييس اللغة، 1972، الطبعة الثانية، دار الجيل، بيروت.
6. أبو بكر الجزائري، أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير، 2016، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة.
7. أبو جعفر محمد بن جرير الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن (تفسير الطبري)، دار التربية والتراث، مكة المكرمة.
8. الرازي، فخر الدين، مفاتيح الغيب (التفسير الكبير)، 1981، دار إحياء التراث العربي.
9. الشاذلي، سيد قطب إبراهيم، في ظلال القرآن، 2004، الطبعة 34، دار الشروق للنشر والتوزيع.
10. الشافعي، جلال الدين المحلي، تفسير الجلالين، 2009، دار الكتب العلمية، بيروت.
11. الصنعاني، محمد بن إسماعيل، سبل الإسلام - شرح بلوغ المرام من جمع أدلة الأحكام، 2005، الجزء الثالث، ط1، مكتبة الصفا، القاهرة.
12. الطبري، محمد بن جرير، تفسير الطبري (جامع البيان)، دار التربية والتراث، مكة المكرمة.
13. الترمذي، محمد بن عيسى، سنن الترمذي - أبواب تفسير القرآن، 2018، دار التأصيل للنشر.
14. الفيروزآبادي، محمد بن يعقوب، القاموس المحيط، 2005، الطبعة الثامنة، مؤسسة الرسالة، بيروت.
15. القرضاوي، يوسف، غير مدرج ضمن هذه القائمة لكن قد يُفترض به وجوده ضمن السياق
16. المعجم الوسيط، تأليف إبراهيم مصطفى، أحمد الزيات، حامد عبدالقادر، محمد النجار، 1981، المجلد الثاني، الطبعة الثانية، المكتبة الإسلامية، تركيا.
17. محمد فؤاد عبد الباقي، المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، 1950، دار الحديث للنشر والتوزيع.
18. محمد علاء الدين، شرح تنوير الأبصار، 2003، المجلد 11، ط2، دار الكتب العلمية، بيروت.
19. صالح بن فوزان الفوزان، الإرشاد إلى صحيح الاعتقاد والرد على أهل الشرك والإلحاد، 1990، الطبعة الأولى، دار ابن الجوزي.
20. صالح بن عبد الله بن حميد، أصول الحوار وآدابه في الإسلام، دار المنارة، جدة، السعودية.
21. عبد الكريم يونس الخطيب، التفسير القرآني للقرآن، 1970، دار الفكر العربي، القاهرة.
22. أحمد محمد زياد، حقيقة العلاقة بين اليهود والنصارى، 2000، ط1، دار المعالي، عمان–بيروت.

ثالثًا : المقالات والبحوث الاكادمية

1. د. عبد الحكيم أحمد، أحكام التعامل مع غير المسلمين والاستعانة بهم في الفقه الإسلامي، دراسة فقهية مقارنة، 2011.
2. مقال أكاديمي: "معاملة المسلمين لأهل الكتاب من خلال القرآن والسيرة"، د. محمد ديرا، 2022، منشور في مجلة ابن خلدون (دراسة بحثية أكاديمية محكمة).